فيا راحتي ان كان زادي مقدماً ويالهفي ان كنت لم اتزود

ويالبدائع هذا الخبر عليّ وغرره ما أوضحها على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه فازهد الناس في عالم أهله . وقبله رُدي العلماء بتبريزهم على من يقصر عنهم والحسد داء لادواء له . انتهى كلام ابن حيان في خبره

قلت انا (ابن بسام) ولعمري ماعقه ، ولا بخسه حقه ، وقال ابن بشكوال : كان أبو محمد أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة على توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار . وسننشر طرفاً صالحاً من جيد شعره .

الأمية والكتابة

ليس في التاريخ ما يصح الاعتماد عليه في حال الأمية في الصدر الاول اللهم الا بضعة سطور مبعثرة في تضاعيف الاسفار . وغاية ما استخلصته أن الكتابة والقراءة والحساب انتشرت بين أهل الاسلام على الزمن ولم يكن تعليمها الناس إلزامياً حتماً بل كان اختيارياً على نحو ما أمر الرسول عليه السلام اسارى أصحابه في احدى الوقائع ان يفتدوا أنفسهم اذا لم يكن لهم مال بتعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة

والأميّ والأمان من لا يكتب او من على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب وهو باقٍ على جبلته كما جاء في القاموس وزاد في التاج إنا امة امية لانكتب ولا نحسب اراد انه على أصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الاولى . وقال بعضهم ومجاز الاميّ على ثلاثة وجوه قولهم أمي

منسوب الى أمة رسول الله (ص) ويقال رجل أمي اذا كان من أم القرى أي مكة والنبي الأمي انما أراد الذي لا يقرأ ولا يكتب والامية في النبي فضيلة لانها أدل على صدق ما جاء به .

قال صديق حسن خان: في تفسير قوله تعالى ومنهم أميون لا يقرأون الكتاب الا أماني أي من اليهود . والأمي المنسوب الى الأمة الامية التي هي على أصل ولادتها من أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا تحسن قراءة المكتوب . ومن حديث إنا أمة امية لا نكتب ولا نحسب . وقال أبو عبيدة: انما قيل لهم أميون لنزول الكتاب عليهم كأنهم نسبوا الى أم الكتاب فكأنه قال: ومنهم أهل كتاب وقيل هم نصارى العرب وقيل هم قوم كانوا أهل كتاب فرفع كتابهم لذنوب ارتكبوها وقيل هم المجوس حكاه المهدوي وقيل غير ذلك والراجح الاول وقيل اميون أي عوام .

على ان الكتابة العربية لم تنتشر في جزيرة العرب قبل الاسلام بكثير . وأول من كتب فيها مرامرة بن مرة من اهل الانبار . قال الاصمعي : ذكروا ان قريشاً سئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لاهل الحيرة من أين لكم الكتابة فقالوا من الانبار . والناقل لهذه الكتابة كما في رواية بعض المؤرخين حرب بن أمية القرشي الأموي والغالب ان واضعها مرامرة المشار اليه . هكذا شاعت الكتابة قبيل الاسلام كما نقل العرب الحساب عن الهند . وكانت غير على ماروى ابن خلكان كتابة تسمى المسند وحروفها منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد الا باذنهم فجاءت ملة الاسلام وليس في جميع اليمن من يقرأ ويكتب .

قلت: وليس هذا شأن اليمانيين وحدهم في منع عامتهم من تعلم الكتابة

والقراءة والخروج من دركات الجهل والأمية بل كانت هذه عادة الامم القديمة الا القليل منها يخصون العلم والتعلم بطبقة خاصة من الناس . فقد حصر قدماء المصريين والاشوريين العلم بخدمة الدين واحتكره ابناء الاشراف عند الفرناطيين والرومانيين واختصت به فئة معلومة منتخبة من الهنديين واليونانيين حتى اذا جاء الاسلام اطلق حرية التعلم واباح تناول العلم لكل متناول وكان من أثره ما كان من الحضارة الراسخة

هذه زبدة ما يقال في معنى الأمية في الاسلام وقد تقلبت الاحوال باهله حتى اصبح من لا يستحق منهم هذه الصفة اعز من الغراب الاعصم وهبت على اهل هذا الشرق هبة من روح الارتقاء منذ نحو قرن ومازحت تختلف باختلاف الايام حتى قام في العهد الاخير ناس راغبون في انهاض الأمة من حضيض الامية رجاء تحسين احوال المجتمع وانتقاء فئة من نوابغ المتعلمين ليكونوا بعد رجال العلم والقضاء والادارة وسائر مذاهب المعاش .

وما اظن مصر حتى اليوم قامت بعمل اعظم من اهتمام رجالها هذه الآونة بافتتاح كتاتيب يتعلم فيها عامة بنيها ما يخرجهم عن طور الأمية ويلحقهم بالمتعلمين النافعين . وقد شهد كل عاقل ينظر في العواقب من آثار هذه الهمة القعساء ما يرجى معها اذا دامت على اشدها زمناً ان يزيد عدد الدارسين في هذا القطر على عدد الاميين من اهله وهنالك أبشر بالخير الذي يعود من فضل هذه العناية على القطر المصري بل على سائر الاقطار والامصار . وعسى ان يعتبر بهذه النهضة المباركة رجال البلاد المجاورة فيجنون من كتاتيبهم ومدارسهم لو توفروا على اصلاحها والاستكثار منها ما لا تأتيهم به الاماني والتعللات والله الملهم والمسدد .